

مقدمة الكتاب

عزيزى القارىء

المحبة: هى مما غرس الله تعالى فى الطبيعة البشرية من يوم الوضع فى المهد .. إلى يوم الوضع فى النعش .. فلا بُد لهذا المخلوق الأدمى من أن يُحب .. إما ذاتاً من الذوات .. أو شيئاً من الأشياء .. أو معنىً من المعانى ..

وكلُّ من دخل رياض الحب: شهد العجائب ..

وكلُّ من حل غياض القُرب: عاين الغرائب ..

فإن عيون أشجار الحب: محدقة ..

وفنون ثماره: مشرقة ..

وغصونه من ثقل ما حملته: مطرقة ..

وأنهاره: مغرقة ..

وحرور شموسه: محرقة ..

نسائمه: غادية ورائحة ..

وكمائمه أشداؤها: فائحة ..

وأطياره: صادحة ..

وألوان أزاهيره: قادحة ..

وجداوله: سباحة ..

ومحاسنه: بما تكُنُّه بائحة ..



وقيل:

إن المحبة: شجرة في القلب ..

عروقها: الذل للمحبوب ..

وساقها: معرفته ..

وأغصانها: خشيته ..

وثمرتها: طاعته ..

وريئها: ذكره ..

فمتى خلا الحب عن شيء من ذلك .. كان ناقصًا ..



وألطف ما في الحب: ما وجدته في نفسك من العشق المفرط، والشوق المقلق حتى
يمنعك ذلك من النوم، ولذة الطعام ..

ولا يدرى ذلك المحب فيمن؟ .. ولا يتعين لك محبوب .. فإن من ذلك تترقى إلى
محبة الله عز وجل المطلقة ..

وقيل:

إن الحب في سن العشرين: غرام ..

والحب في الخامسة والعشرين: شغف ..

والحب في سن الثلاثين: شوق ..

والحب في سن الأربعين: تأمل ..

■ والحب يحلو في ثلاث مراحل :

في أوله .. حيث الخجل ..

وفي منتصفه .. حيث الضعف ..

وفي آخره .. حيث الذكرى ..



* ولو جنبنا كل ما في الإنسان من ذكاء، وعبقريّة، ودهاء .. لما استطعنا أن نخلق من القرد غزاًلاً ..

أمّا الحب إذا ما تربّع في القلب، وبَثَّ أنفاسه في نياطه وشغافه .. استطاع - في أقل من طرفة عين - أن يعبث بالناس وتقاليدهم، وبالطبيعة وسُنَنِها على هواه ..

فالعليل: يَبْزأ ..

والقبيح: يُجَمِّل ..

والضعيف: يَتَّقَى ..

والقَصِي: يَدْنُو ..

والخشن: ينعّم ..

والقاسى: يلين ..

والمحدود: يغدو بغير حدود ..

وإذا الأبدية: لمحة ..

واللمحة: أبدية ..

وإذا الفضاء بكل ما فيه: سرير دافئ وثير ..

فالزمان، والمكان . كلاهما مطيع للحب، ومطيّة ذلول له.

* ومهام بلغت الأخطار، ومهما اشتدت الرزايا، ومهما عَظُمَت مشقات الحُب ..

فالحُب كله: لذة ..

كأن ضيقه: فَرَجٌ ..

وعبوسه: طلاقة ..

ومشقة: سهولة ..

ومرارته: حلاوة ..

فالحب وحده: سعادة الإنسان على وجه الأرض ..

والحب: سلطان .. مَلَكَ العيون ونواظرها .. والعقول وآراءها ..

فالعقل: أسيره ..

والنظر: رسوله ..

واللحظ: عامله ..

والتفكير: جاسوسه ..

والشغف: حاجبه ..

والهيمن: نائبه ..



والحب أيضًا: شجرة يغرسها الأمل في القلب .. ثم يغذيها بمائه وهوائه .. فلا تزال تشتجر

أغصانها، وترف ظلّالها .. وترن أطيّارها حتى يعصف بها عاصف من اليأس .. فتموت.

والحب: بسماتٍ على ثغر الزهر ..
وصفاء في زرقة الموج ..
وهناء في هبوب النسيم ..
ولحن جميل في حفيف الشجر ..

والحب: تفاح الخدود ..
وفراولة الشفاه ..
وعسل العيون ..
ومذاق الشهد ..
وحلاوة النفس ..
وفاكهة القلوب ..
ولذة الأرواح ..



عزيزى القارئ

إن الحب من أهم الموضوعات التى كُثِرَ فيها الجدل، والكتابات البلاغية، والحوارات الأدبية، والفنون التعبيرية ..

ولكننا - فى هذا الكتاب - قصدنا أن نعرض لفنون الحب وأنواعه من خلال أمثال الأمم والشعوب فى الشرق والغرب، وكل بقاع العالم ..

والأمثال العالمية - عند البشر - هى أئمن تراث يُعطى إطلالة - فى كل العصور - على غرائز وطبائع، وعادات وتقاليد أكثر الناس: قديمًا وحديثًا ..

والحب من أمتع الأحاديث التى يُلذ لأُذن السامع سماعها .. ويطرب قلب العاشق
بحلول الحُب فيه ..

وبين يديك - عزيزى القارئ - خلاصة أفكار القدامى والمعاصرين من الأمثال
العالمية فى هذا الكائن الجميل الذى نعرفه فى حياتنا باسم «الحب»..

سيد صديق عبد الفتاح

الأمثال

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

[إبراهيم: ٢٥]

المثل: حكمة سائرة، أو قول شائع على الشفاه ..

والمثل: خلاصة حكمة الشعوب واختبارها سواء أخص حادثة شعبية، أم كان صدىً لمعتقد قديم، أم أوجز قاعدة اجتماعية أو أخلاقية، أم مثل نزعة أدبية أو فنية .

والمثل أيضًا في جميع حالاته يكون شاهدًا حيًا، ووثيقة ثابتة للعادات والأخلاق الاجتماعية في الشعب، وتأثراتها العميقة .

قال «أرسطوس»: المثل قول مشهور يشير إلى قصة لطيفة ..

وقال «سرفانتس»: المثل زبدة اختبار طويلة مفرغة في قالب صغير ..

وقال «أرسطو»: كأن الأمثال متخلفات حكم قديمة أدركها الخراب، فسلمت هى من بين تلك لمئاتها وجزالة ألفاظها ..

وقال «المبرد»: المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر شبه به حال الثانى بالأول .. والأصل فيه التشبيه (أى هذه الحادثة تشبه تلك) ..

وقال «ابن السكيت»: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه ..

وقال «ابراهيم النظام»: فى المثل أربعة لا تجتمع فى غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة ..

وقال «ابن المقفع»: إذا جُعل الكلام مثلاً، كان أوضح للمنطق، وأتق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث ..

وقال «الفرنسيون»: الإنشاء هو الإنسان ..

وقال «الإنجليز»: يكون الرجل كما يتكلم ..

وقيل في «الإنجيل المقدس»: من فضلة القلب يتكلم اللسان .. وهذا دليل واضح على أن الإنسان هو القلب وما يفيض به اللسان ..



ومن أوائل من جمع الأمثال «سليمان الحكيم بن داود»، كتبها بالعبرانية في القرن العاشر قبل الميلاد ..

■ ويقال أيضًا: أنه في القرن السابع قبل الميلاد أمر «حزقيا» ملك اليهودية الحكماء بوضع «سفر الأمثال» الملحق «بالتوراة» ..

■ وفي عصر اليونان: نبغ فيهم الفلاسفة فتكلموا في المثل وآدابه وجمعوا في الأمثال كُتبًا جمّة ..

■ وقد جمع «أرسطو» كتابًا في الأمثال ..

■ وقد جمع «زنوبيوس» في القرن الثاني للميلاد ٥٢٢ - مثلاً ..

■ وفي عصر الرومان اشتغل أدباؤهم بالأمثال ..

■ وكان «شيشرون» يستشهد في أقواله وكتاباتة بأمثال اليونان ..

■ وفي القرن الخامس عشر للميلاد ظهر «ميخائيل ابوستوليوس» في مدينة القسطنطينية

وجمع - ألفين - من الأمثال القديمة طبعت في (لندن) سنة - ١٦٥٣ م.



الأمثال الدارجة

- ومعروف أن للعامة أمثالاً كثيرة متداولة هي نتيجة خبراتهم، ومرآة أخلاقهم وعاداتهم، وليس ذلك من خواص اللغة العربية، بل من خواص لغات المعمور..
- وفي المثل من التبصرة والذكرى ما فيه على حد قول الشاعر:

ما أنت إلا مثل سائر يعرف الجاهل والخابر

- وكان للأمثال الدارجة بين عرب الجاهلية شهرة بعيدة ونفلة سريعة، حتى ضرب المثل في سرعتها .. فقالوا: (أُسِيرُ مِنْ مَثَلٍ) ..
- ولما ظهر الإسلام، وأخذ اللغويون يجولون في أحياء العرب ليجمعوا شعرهم ومآثرهم الأدبية، جعلوا للأمثال شأنًا عظيمًا ..
- وكان أول من أخذ بجمعها «عبيد بن شربة» و«صحار العبدى» كانا في عهد الخليفة «معاوية بن أبى سفيان»، ولكليهما كتاب في الأمثال ..
- واشتهر بعدهما «المفضل الضبي» في أوائل الدولة العباسية، وقد طبعت أمثاله في «الأستانة» ثم تبعه «أبو عبيد القاسم بن سلام» وله كتاب «الأمثال السائرة» ..
- ثم «الأصمعى» و«أبو زيد» و«أبو عبيد النحوى» ..
- ثم «هشام الكلبي» صاحب كتاب (أمثال الحمير) ..
- ثم «ابن الأعرابي» وله تفسير الأمثال ..
- و«ابن قتيبة» مؤلف حكم الأمثال ..
- ثم «العسكري» مؤلف جمهرة الأمثال ..
- حتى قام الميداني «شهاب الدين أحمد النيسابورى» (٥٣٩هـ - ١١٤٥م) فوضع كتابه مجمع الأمثال، وضمنه نيفًا وستة آلاف مثل جمعها من أكثر من خمسين كتابًا، ورتبها على حروف المعجم ..

■ وأغلب الظن أن أكثر أمثال العرب مستعارة من أسفار العهدين: القديم والحديث .. أو أنهم أوردوها بمجرد نظرهم إلى الطبيعة ..

■ ومن العرب اتصلت بالآداب الغربية الأمثال والحكم على اختلاف معانيها، وهى خلاصة ما وقف عليه العقل البشرى من اختبارات الدهور، فعبر عنه تعبيراً قليل الكلام، كثير المعانى، يسمعه السامع فيعيه صدره ويستحضره عند الحاجة إليه فى شؤون الحياة، سواء أكان فرداً من أفراد العامة أو أميراً فى قومه ..

أمثال العوام

■ قد ظهر منها مجموعات إقليمية شتى، إلا إنها تختلف عند كل أمة، وتباين فى العصور بحسب ظروفها .. وهى عادة مستخرجة من أحوال الممثلين بها، فحسب ما هم عليه تكون أمثالهم^(١) ..

■ وللمستشرقين ولع بالأمثال العامية، فإن المجموعة التى ظهرت «لشرف الدين ابن أسد» التى ضمنها ألف مثل من الأمثال العامية المصرية، قد تناولها «بوخارت» السائح الألمانى الشهير، وترجمها إلى لغته، ثم ترجمت إلى اللغة الإنجليزية^(٢) ..

■ والأمثال من أهم ما تجب معرفته من آداب الشعوب، فهى مرآة تنعكس فيها أخلاقهم وعاداتهم، وشاهد عدل على حالة لغتهم ..



■ وسبب انتشار الأمثال فى الشرق: أن الشرقى أقدر من الغربى على تزويق الكلام، والمثل من نوع التزويق ..

(١) ولمن أراد الظفر بطرافة مثل هذه الأمثال العامية ودقة رموزها - أن يراجع مجموعتى (أمثال العوام) - فى لبنان - طبعة المطبعة الكاثوليكية فى بيروت سنة (١٩٢٩).

(٢) أول كتاب طبع فى إنجلترا وهو (حكم الفلاسفة) كان ترجمة لمصنف عربى رائع. (أربرى - المستشرقون البريطانيون).

- وأما من الناحية الدينية والفلسفية، فإن فلسفة الساميين ما تعدت المثل والاختبار..
- والفلسفة اليونانية نشأت حول المثل، ولكنها تخطته إلى التفكير المنظم المناقش المعلن..

■ وأهل القرى يستعملون المثل أكثر من أهل البادية..

نجيب نجم كرم

